منهج الإسلام في معالجة ظاهرة المخدرات

إعداد

د. سيرين صعيدي

فلسطين 2016

المقدمة

تنوعت وسائل وأساليب معالجة الإسلام للمشكلات والعوائق التي تواجه البشرية وتعرقل مسيرتها، وتعطل الغاية التي خلق الله الإنسان من أجلها، وظاهرة المخدرات آفة خطيرة تهدد المجتمعات وأمنها واستقرارها بل وطاقتها البشرية وقد اهتم الإسلام الحنيف بهذه الظاهرة منذ القدم ووضع أسساً للوقاية منها ابتداءً ثم قدم العلاج المناسب لمن أصابته لوثتها وهو ما يعرضه هذا البحث.

المطلب الأول: التربية الوقائية

لقد عُنيت الشريعة الإسلامية بالإنسان فكان مركز اهتمامها لذلك أقرت القواعد الفقهية الكلية منها قاعدة "درء المفاسد أولى من جلب المصالح"، وقد خلق الله الإنسان فجعله خليفة في الأرض من أجل عبادة الله وعمارة الأرض حيث قال تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" [سورة الذاريات: آية56]، فالإنسان مدار هذا الكون ومركزه وهو الخليفة في الأرض خلقه الله سبحانه لغاية جليلة وسخر له سائر المخلوقات، لقد كرم الله تعالى الإنسان كإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه وميزه عن سائر مخلوقاته بالعقل الذي هو مناط التكليف، ومن تكريم الله تعالى للإنسان قوله عزوجل: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [سورة الإسراء: آية70]. ومن تكريم الله تعالى لهذا للإنسان أن هناك ضروريات لا بد منها تقوم عليها حياة الإنسان وبها تستقر أحواله وأموره ومن دونها يفقد الإنسان استقراره وتضطرب أحواله، وهذه الضروريات أوجب الشارع الحفاظ عليها وعدم الاعتداء عليها إذ يقول الغزالي: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة وهذه الأصول حفظها واقع في مرتبة الضرورات، فهو أقوى المراتب في المصالح"[1].

ومن الإجراءات الوقائية التي سلكها الإسلام في سبيل المحافظة على مصالح الإنسان فكرياً وجسدياً وعقدياً أنه قد حرّم كل ما من شأنه أن يضر به ويجلب له المفاسد سواء كانت معنوية أو مادية، فقد قال تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) [سورة الأعراف: 157]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

[1]() الغزالي، محمدبن محمد أبو حامد: المستصفى في علم الأصول، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي،ط1، ج1ص174، دار الكتب العلمية_ بيروت، (1413هـ).

آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [سورة المائدة: آية 90]، والمتتبع لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه عن كل مسكر ومفتر يؤدي لتعطيل العقل أو تغييبه يدرك اهتمام الإسلام بوقاية الفرد و المجتمع "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتِّر"[2].

وفي تعاطي المخدرات ضرر لا جدال فيه يلحق الأذى بهذه الضرورات فكان من سبل الوقاية التي اتخذها الإسلام تحريم ارتكاب أي أمر من شأنه أن ينال أو يلحق الأذى بأي ضرورة من هذه الضروريات، بل حثه على المحافظة عليها وذلك عن طريق اجتناب الفواحش والالتزام بأوامر الشرع الحنيف[3].

والمخدرات اعتداء على كل ضرورة من هذه الضروريات، ففيها تغييب للعقل البشري الذي هو مناط التكليف ومن خلاله يصل الإنسان لمعرفة الله والإيمان به وإدراك سائر العلوم وتمييز الخير من الشر[4].

وفي تعاطي هذه المحرمات ذهاب للعقل وإضاعة للمال الذي هو قوام الحياة وإلحاق الضرر والأذى بالنفس والجسد والاعتداء عليها وجعلها معرضة للأوبئة والأمراض ومتعاطي هذه الممنوعات بتغييب عقله وإدراكه قد يعتدي على أعراض الناس، ويضيع الأمانة في إعالة من يعول من أسرة ، وضررها على الدين بين واضح فهي مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة وا أجمع عليه العلماء فتنتشر بذلك الرذيلة ويورد الأمة موارد الهلاك[5].

---

[2]() الأزدي ، سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود: سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج3 ص329، دار الفكر.

[3]() الشباب الجامعي وآفة المخدرات، جميل بني عطا، رئيس اللجنة التحريرية، كمال الحوامده مقرر اللجنة التحضيرية، دور المؤسسات في الوقاية من المخدرات، شعبان رمضان مقلد، ص447، ط1(1428هـ_2008م)دار كنوز المعرفة العلمية _ عمان. المشاقبة، محمد أحمد: الشباب والمخدرات الإرشاد والعلاج النفسي، ط1،ص184، دار الشروق _ عمان،(2012). بتصرف.

[4]() طويلة، عبد الوهاب عبد السلام: فقه الأشربة وحدّها أو حكم الإسلام في المسكرات والمخدرات والتدخين وطرق معالجتها، ط1، ص11، دار السلام_القاهرة،(1406هـ_1986م). بتصرف.

[5]() أنظر: عبد السميع، أسامة السيد: عقوبة تعاطي المخدرات والاتجار بها بين الشريعة والقانون، ص14_15، دار الجامعة الجديدة_ الإسكندرية، (1429هـ_2008م). طويلة، فقه الأشربة، ص10_12.

وليس أدل على ذلك من حديث: "اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث أنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : أنا أدعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت : إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علي أو تشرب من هذه الخمرة كأساً أو تقتل هذا الغلام . قال: فاسقيني من هذا الخمر كأساً. فسقته كأساً فقال : زيدوني ، فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس . فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا أوشك أن يخرج أحدهما صاحبه"[6].

لذا نجد الإسلام له السبق في مكافحة هذه الآفة الخطيرة لأنه من عند الله العزيز الحكيم , فلا نكاد نرى شيئاً فيه ضرر على الإنسان إلا ونجد فيه منعاً أو تحريماً للمحافظة على سلامة الفرد والمجتمع، فهو دائما يأخذ المبادرة ليس في العلاج فحسب وإنما في الوقاية بداية قبل أن يقع الفرد فريسة الإدمان فبمحافظة الإسلام على هذه المقاصد وتشريعه العقوبات جزاءً لكل من يطالها بأذى إنما ذلك من أولى الإجراءات الوقائية التي تحفظ الفرد وبالتالي المجتمع.

ومن الطرق الوقائية التي اهتم بها الإسلام في سبيل وقاية الفرد وإعداده الإعداد السليم بأمور كثيرة ستتحدث الباحثة عن بعضها تحت النقاط الآتية:

أولاً: دور الأسرة

الأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمعات، وقد عني بها الإسلام عناية شديدة منذ البدء فهي المسؤولة عن تكوين الأفراد وصقل شخصياتهم لذا وضع معايير مهمة لاختيار شريك الحياة بداية والتي أساسها الدين والخلق الحسن حتى تنشأ ثمرة هذا الزواج ألا وهي الأبناء في جو من الصلاح والاستقامة فقد قال

---

[6]() النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن: سنن النسائي الكبرى، ط1، ج3ص228، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية_بيروت،(1411هـ_1991م).

صلى الله عليه وسلم: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"[7]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه"[8].

والأسرة هي المحضن الأول للفرد وهي المسؤولة المباشرة عن إعداده الإعداد المناسب الذي من خلاله يخوض غمار الحياة ومعتركها، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[9] فتكوين شخصية الفرد إنما يعود بالدرجة الأولى ويقع على عاتق الأبوين فما يكتسبه من قيم وأفكار يكون راجعاً للوالدين[10].

فالأسرة هي الأساس في عملية التنشئة وعليها أن تكون نموذجاً مجسداً فتكون بذلك القدوة الصالحة للأبناء، وعليها تناط مسؤولية المراقبة والتوجيه المستمر فتحميهم بذلك من مواطن الزلل[11].

وان كانت الأسرة هي المحضن الأول للفرد إلا أن هذا الفرد لا بد أن يتزود بداية بقيم وأخلاق ومبادئ ومعايير ثابتة في أعماقه في حالة خروجه عن طوق الأسرة ، فالأسرة هي المسؤولة عن تنشئة الأفراد وزرع القيم الصالحة ومبادئ التدين في نفوسهم وهي من ترشدهم للحلال والحرام والى هذا أشار الأستاذ خالد: "تقوية الروح الدينية في نفوس الأبناء، لأن زرع هذه الناحية الطيبة في النفوس، والاستقامة في الحياة، وتجعل من الأبناء عناصر صالحة في المجتمع، باللجوء إلى الله في كل الحالات، فيؤدي ذلك لراحة النفس واستقامتها"[12].

وقد أشار صلى الله عليه وسلم الى ذلك فقال:"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها

---

[7]() البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ت(256هـ): صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم أحمد محمد شاكر، كتاب النكاح، باب الأكْفاء في الدين، ط1، ص 617، حديث رقم5090، مكتبة الثقافة الدينية، (1425هـ_2004م).

[8]() الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ج3ص394، دار إحياء التراث العربي_بيروت.

[9]() البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ص157، حديث رقم1385.

[10]() أنظر: المشاقبة، الشباب والمخدرات، ص85.

[11]() يوسف، جمعة سيد: الوقاية من تعاطي المخدرات، ط2، ص58_59، دار غريب_ القاهرة، (2003). بتصرف.

[12]() غنيم، خالد إسماعيل: أضرار تعاطي المخدرات والكحول وأثره على المجتمع، ص111، مركز الكتاب الأكاديمي_ عمان،(2002).

والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته"[13]، فالأبناء أمانة ورعايتهم النفسية والخُلقية مطلب أساسي كما هي رعايتهم الجسدية ومن باب رعايتهم أن يحرص الآباء أن يكونوا قدوة ومثالاً حسناً في نظر الأبناء يقتدون بهم في حركاتهم وسكناتهم فعلى الآباء مراعاة ذلك بانتباه وحذر وأن يحرصوا على تطابق أفعالهم وأقوالهم،وعلى الأسرة أن تأخذ قضية أصدقاء الأبناء في عين الاعتبار ومساعدتهم في اختيار الرفقة الصالحة لما لهم من تأثير كبير في حياة الفرد لقوله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) [سورة الزخرف: آية67].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة"[14].

فهذا كله يجذب انتباه الأسرة ويحثها على مساعدة الأبناء في انتقاء الأصدقاء، والتعرف إلى هؤلاء الأصدقاء وإلى ذويهم وخلفياتهم الاجتماعية والفكرية وأنماط سلوكياتهم، فالأصدقاء لهم دور كبير في تكوين شخصية الفرد وتقبله لكثير من الأفكار واعتقادها.

ولا يقف دور الأسرة عند هذا الحد بل يمتد لتعطي اهتماماً بالغاً بمراقبة برامج التلفزة التي تعرض على أبنائها وما تبثه من مشاهد لها أثر كبير في تكوين شخصياتهم ومفاهيمهم وأن تحرص على انتقاء ما يناسب الأبناء، فتختار ما يناسب أعمارهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية، وتبعدهم عن البرامج التي تتعارض مع تربيتهم وتنشئتهم، وإظهار الاشمئزاز لهم وعدم الرضى من أي سلوك شاذ لا سيما من المخدرات، لأن الأبناء يقلدون أباءهم ويعتبرون هذا الانطباع نموذجاً حياً في حياتهم يحذون حذوه ويقتفون أثره، وتضع الأسرة متابعة سلوك الأبناء ومراقبتهم بصورة مستمرة على رأس أولوياتها، وملاحظة أي تغيرات قد تطرأ على سلوكياتهم[15].

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

[13]() البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ص102، حديث رقم893.

[14]() البخاري، صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، ص666، حديث رقم5534.

[15]() انظر حول الموضوع: السعد، صالح: الوقاية من المخدرات، ط1، ص 11، دار صفاء_عمان، (1420هـ_1999م).

إن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالغة الأهمية ولا بد من التركيز عليها والعمل على إعادتها إلى حيز الوجود فلها دور فعال في الوقاية من أي سلوك منحرف فقد قال تعالى:(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ) [سورة آل عمران: آية110]. وقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [سورة التوبة: آية71]، وجاء في الحديث الشريف "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"[16].

إن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتحقق به الخيرية في المجتمعات، فتطبيق هذه الفريضة إنما هو إعلان صريح من المجتمع لأي فئة قد تضل الطريق بأن سلوكها منحرف وشاذ ترفضه الأمة أفراداً وجماعات، فيفكر هذا الضال بجريرة أعماله وما قد تجره عليه من نبذ ورفض بين أفراد المجتمع وهو ما أكد عليه طويلة قائلاً: "ولو أن أي انحراف أو محرم انتهك، وجد من يقف أمامه منكراً أو محذراً، لانطوت الشرور، وماتت في مهدها. لقد كان المنحرف في الصدر الأول يشعر كأنه شاذ أو مريض بين إخوانه، فلا يطيب له مقام حتى يبرأ من علته. لذا كان لنظام الحسبة في الإسلام دور واسع في نقاء المجتمع ونظافته من الشرور. وعن طريقها أقلع كثير من الناس عن غيهم"[17].

نعم فطالما أن الفرد يشعر بأهميته في أسرته ومجتمعه فهو دائم الحرص على نيل ثقتهم ورضاهم, ولكن إذا ما غابت كلمات التوعية والإرشاد أو اختفى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن لشبابنا لينقذهم من براثين هذه الآفة القاتلة ويحميهم منها ؟!

لكن التزام الناس بالصمت المشين لارتكاب المحرمات وانتهاك الحرمات أدى إلى تمادي الكثير في ارتكابها دون خجل أو وجل، فانتشرت هذه الآفة في الفترة الأخيرة في مجتمعاتنا وبين شبابنا انتشار النار بالهشيم ، لم لا وهم يعاملون وكأن شيئاً لم يكن؟!

---

[16]() البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ص286، حديث رقم2493.

[17]() طويلة، فقه الأشربة، ص507.

إن خيرية الأمة الإسلامية التي وصفها الله بها جاءت من أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر فالأمر بالمعروف مجالاته أوسع من أن تحد بمكان فهو مطلوب في البيت والشارع والمدرسة والجامعة ومكان العمل، غير أنّ المسجد هو المنبر الحر وصوت الحق الذي يصدع به في الآذان والقلوب والذي يجب أن يعاد له دوره الحضاري في إعداد الفرد إعداداً مناسباً يؤهله لهذه الفريضة لذا يجب أن يعاد له دوره الحقيقي في بناء المجتمعات لا أن يكون فقط مكاناً تؤدى فيه الصلوات دون روح تبث عبق الحياة في كل المجالات، فالمسجد مؤسسة جامعة يلتقي فيها الصغير والكبير المثقف وغير المثقف.

فالمسجد من أهم محاور حياة المجتمع الإسلامي ومن أهم مؤسساته في إعداد الإنسان الصالح، فالمودة والأخوة والمحبة أساس الصلات بين المسلمين، وفيه تتعمق الرقابة الاجتماعية على سلوك الأفراد، ويتركز دور المسجد في التوعية من أضرار المخدرات وضرورة الحفاظ على المجتمع سليماً معافى من أي انحراف قد يصيب فئاته خاصة الشباب[18].

وعلى هذا لا بد أن يستأنف المسجد دوره ويعود الشباب إلى ربوعه ليتزودوا بالطاقة الروحية والعلوم التي تكفيهم لمواجهة الحياة بصعوباتها ومشاقها فيكون بذلك الحصن الحصين لهم يزودهم بسلاح التقوى الذي يواجهون به أي انحراف للقيم والسلوك والأفكار.

ثالثاً: الوازع الديني

ضغوطات الحياة كثيرة والأزمات النفسية التي تعصف بالمجتمع ولا سيما الشباب جليلة ولكن على المرء أن يدرك أنّ هذه الحياة ما خلقت للدعة والراحة وإنما هي دار ابتلاء قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) [سورة البلد: آية 4]، إذ لا بد أن يكون للمرء رصيد لا بأس به من القوة النفسية المستمدة من الوازع الديني في أعماق الفرد إذ أن الفرد مهما امتدت به حياته داخل الأسرة أو المجتمع أو مهما طال التفاف الصحب والرفقة من حوله يأتي عليه وقت لابد من خروجه خارج هذه الحدود كلها التي توفر له الإعانة على سلوك سبل الخير والصلاح، فيأتي هنا دور الوازع الديني المغروس في أعماقه والذي هو صمام الأمان الذي يرافقه في حله وترحاله يلوذ به كلما لاح له أفق المغريات والشهوات أو الممنوعات ويكون ذلك بتقوية الإيمان في نفس الفرد والاعتصام بحبل الله المتين.

---

[18]() السعد، الوقاية من المخدرات، ص43. وانظر : المشاقبة: الشباب والمخدرات، ص194.بتصرف.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بتشريعات صالحة لكل زمان ومكان، ولها أهداف وحكم جليلة من هذه التشريعات تهدف إلى تحقيق مصالح الإنسان الدنيوية والأخروية على حد سواء، والتزام الإنسان بأوامر الشريعة ونواهيها في مختلف ظروفه وأحواله يؤدي إلى استثارة مكامن الخير في نفسه، ويخشى مخالفة أوامر ربه فيجتنب المحرمات بأشكالها وأنواعها وفي مقدمتها المخدرات[19].

فالوازع الديني عامل أساسي في ضبط سلوك الإنسان، لكن الانشغال بالمنجزات الحضارية المادية والسعي وراء مستجداتها ومستحدثاتها عمل على إضعاف الوازع الديني في نفوس الأفراد وأبعدهم عن اللجوء إلى الله والاعتماد عليه وقت الملمات والشدائد واشغلتهم هذه المنجزات الحضارية عن أداء واجباتهم الدينية والعمل بأحكام الشريعة السمحة[20].

وهو ما يشير إليه صالح السعد قائلا: " قد أثبتت العديد من الدراسات المتخصصة في مجال المخدرات أن الوازع الديني كان من الضوابط القوية في التحكم بسلوكيات الأفراد السليمة، وأن خلخلة الوازع الديني وضعفه عند كثير من المبحوثين كان وراء ولوجهم في تعاطي المخدرات وسيطرتها على أنفسهم"[21].

وعندما يضع المرء قول النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"[22].

يدرك وقتها أن مواجهة المشكلات والأزمات والتغلب عليها هو الحل وليس الهروب منها، فيقوي هذا الحديث إرادة المؤمن وتشتد عزيمته به فلا يخضع ولا يركن للهروب من الواقع بتغييب عقله وتعطيل حواسه بالتعاطي والإدمان.

"وهناك علاقة عكسية بين التربية الإسلامية والمشاكل الاجتماعية. فليس من السهل أن تقنع شخصاً يواجه مشكلة عنيفة ومرارة نفسية، في أن يقلع عن المسكرات والمخدرات، وهي في متناول يده من غير أن تجد له البديل. إلى من يشكو؟ وإلى من يلجأ؟ إن لم يجد من يرفع عنه وزره أو يشاركه في آلامه فلا مندوحة له عن الوقوع في إحدى السوءتين : المسكرات أو المخدرات، فالإدمان فالهلاك. ولا يكفي بيان

---

[19]() انظر: المشاقبة: الشباب والمخدرات، ص191_192.

[20]() انظر: السعد، الوقاية من المخدرات، ص41.

[21]() السعد، الوقاية من المخدرات، ص41_42.

[22]() مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ص756، حديث رقم2999.

أضرار هذه المواد ومساوئها، فالذي يشرب الخمر ويدخن يعرف قبل غيره أضرارها، ومع ذلك فهو يتناولها ليعيش في حالة من فقدان الوعي، هارباً من مشاكله وهمومه التي تكدر صفوه، وتعكر عليه حياته. بيد أنّ المشكلات لا تحل بالهروب، وإنما تواجه بالاستعانة بالله والرضى بما قدر والعزم والحزم وهذا يحتاج إلى إيمان ثابت وعقل راجح. فالمشكلة أعمق من شرح الأضرار وتبيان المساوئ، والاقتناع بذلك. ومن عرف المشكلة وعرف خطورتها في العالم أيقن أن لا حل لها إلا بالعودة إلى طريق الله، والإيمان بقضائه وقدره، والاستسلام له، وعدم الفرح والبطر بما جاء، وعدم الحزن على ما فات. قال تعالى:(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [سورة الحديد: آية23]"[23].

رابعاً: القدوة الحسنة

إنّ المجتمعات اليوم هي أشد ما تكون افتقاراً إلى القدوة الحسنة في كل مجالات الحياة فتحتاج المجتمعات إلى أئمة المساجد الذين يكونون قدوة في أفعالهم قبل أقوالهم وكذلك في مجال الإعلام والمدرسة والجامعة ، وإلا فما نفع بل ما هو تأثير أستاذ أو إعلامي معروف بسوء السيرة والسريرة؟! إن هؤلاء جميعاً محط أنظار العامة يرقبونهم ويقلدونهم . إن كل فرد منا على ثغرة خاصة به فليحذر أن تخترق ثغرته، فقد استنكر الله تعالى على من تخالف سيرته وأفعاله أقواله لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) [سورة الصف 2].

والقدوة الحسنة لها تأثير أكبر من غيرها من الطرق والوسائل، لذا لا بد من ضرب الأمثلة لشخصيات يقتدون بها في حياتهم لا سيما تلك الشخصيات التي واجهت الكثير من المعاناة والعراقيل في حياتها ولكنها تخطتها وتغلبت عليها بالصبر والإرادة والمواجهة بالعزيمة ورجاحة العقل، وليس هناك أحسن مثالاً من شخصية الرسول الكريم وصحابته الذين عذبوا وقتلوا وهجروا من بلادهم وديارهم فصبروا وكان لهم الفوز والفلاح في الدارين، كما ويضرب لهم أمثلة من شخصيات عامة مشهورة ومحبوبة اجتماعياً حققت مرادها بالنجاح بعدما تغلبت على مشكلاتها بالعقل لا بتغييبه وتعطيله، وهذه المسؤولية تقع على عاتق الأسرة أولاً فيكون الآباء قدوة للأبناء ومن ثم المؤسسات التربوية وغيرها من مؤسسات الدولة التي عليها أن تراعي اختيار أصحاب السير والسلوكيات الطيبة، والمسؤولية أكبر على وزارة الأوقاف أن تراعي

---

[23]() طويلة، فقه الأشربة، ص506.

اختيار موظفيها خاصة أئمة المساجد الذين هم أكثر تعاملاً مع أفراد المجتمع وفق معايير أخرى تفوق التحصيل العلمي.

المطلب الثاني: دور المؤسسات التربوية

أولاً: دور المدرسة

تتحمل التربية والتعليم مسؤولية كبرى في الوقاية من المخدرات والتنبيه إلى مخاطرها، فالمدرسة هي البيت الثاني للمرء ويمكث فيها ساعات طويلة متأثراً بأساتذته ورفقائه، ولأساتذته دور كبير في تكوين شخصيته وفكره لاسيما وهم قدوة له يحذو حذوهم ويثق ويلوذ بهم، فهي متممة لمهمة الأسرة في تربية النشء بل وتصحح ما اكتسبه الأبناء من سلوك خاطئ من الأسرة أو البيئة المحيطة بهم، وعلى هذه المؤسسة التربوية بكادرها أن تدرك أنّ هؤلاء الطلاب أمانة لديها وأنّ دورها لا يقتصر على نقل المعلومات إلى أذهان الطلاب؛ إنما إعداد الفرد الصالح الذي هو لبنة أساسية في بناء المجتمعات مهمة لا تقل عن سابقتها أهميةً، والعمل على ربط هذا الفرد بالقيم والمثل الأخلاقية والدينية وغرسها وتعميقها في روحه وضميره والتركيز على تلازم وارتباط العلم بالإيمان بالخلق حتى يخرج للمجتمع شخصيات متكاملة متوازنة وهو ما أشار إليه العيسوي: "والمعرفة العلمية والمهنية لا يستطيع أحد أن يقلل من أهميتها، ولكنها لا تكفل بحد ذاتها سعادة الإنسان، وتمتعه بالتكيف والنضوج والسواء والاستمساك بالقيم الروحية الدينية والمبادئ الخلقية والمعايير والمثل العليا، المعرفة لا تغير السلوك إلا إذا كانت مقترنة بالإيمان القلبي. فمن هنا كانت ضرورة ارتباط العلم بالإيمان بالخلق لخلق الشخصية العربية المتكاملة المتوازية في قواها العقلية والجسدية والروحية والخلقية والعلمية والمهنية"[24].

ولا بد أن يكون لهذه المؤسسات برامج تعزز من خلالها صلتها بوزارة الأوقاف والصحة والعمل على إصدار مجلات وعقد ندوات تثقيفية لتوضيح آثار المخدرات السلبية بداية من الفرد ونهاية بالأمة جمعاء.

ثانياً: دور الجامعة

---

[24]() العيسوي، عبد الرحمن محمد: الجريمة والإدمان، ط1، ص240_241، دار الراتب الجامعية_ بيروت، (1420هـ_2000م).

ينتقل الطلاب بعد المرحلة المدرسية ليخوضوا غمار الحياة في ربوع الجامعة، وفي الجامعة تبرز شخصية الطالب وتنمو قدراته وفيها يعد إعداداً فكرياً وثقافياً، والجامعة صرح العلوم والأفكار والمعتقدات وعلى هذه المؤسسة أن تدرك أن دورها لا يقتصر على تلقين الطلاب العلوم المجردة فهي صرح شامخ له مهمة عظمى في إعداد مرتاديها إذ على مقاعدها يتخرج القادة والعلماء وسائر القيادات في مجالات الحياة المختلفة، ويوضح صاحب كتاب الجريمة والإدمان الرسالة الجامعية قائلاً: "يخطئ من يظن أن الرسالة الجامعية العربية في الوقت الراهن تنحصر في تزويد طلابها بمجموعة من الحقائق والنظريات العلمية، إنما الحقيقة أن رسالتها أكثر اتساعاً وشمولاً فهي تتولى إعداد الشباب للحياة وللمواطنة الصالحة، وتستهدف تكوين القيادات العلمية والفكرية والفنية في شتى مجالات الحياة. وفوق ذلك تضطلع بمهمة التصدي لما يواجه المجتمع من التحديات والمشكلات كما تستهدف تحقيق التقدم والرقي والتحضر للمجتمع ونقل تراث الماضي ووصله بالحاضر. ومن هنا لا يمكن أن تقف الجامعة موقف المتفرج إزاء المشكلات التي تعترض سبل الحياة في المجتمع العربي في الوقت الراهن"[25].

ومن الأدوار المهمة التي تقع على عاتق الجامعة في مكافحة المخدرات عقدها لدورات تدريبية في الوقاية والعلاج بالتعاون مع بعض الجهات المسؤولة والمهتمة برعاية الشباب كرجال الوعظ وإرشاد وأئمة المساجد والأخصائيين الاجتماعيين والأطباء، وعقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات بالتعاون مع أصحاب الاختصاص[26].

المطلب الثالث: دور الإعلام

تغزو وسائل الإعلام بشتى أنواعها بيوتنا بكافة الأفكار التي تحملها وتدعو إليها، والإعلام من الوسائل المهمة والخطيرة التي تصب في عقول ومشاعر الأفراد ما تشاء من أفكار ومعتقدات، فالثغور التي لم تقتحم من الجيوش والأسلحة اقتحمت بوسائل الإعلام فهو المورد الأساسي الذي يغذي عقول ومشاعر الشباب، "أصبح الإعلام يمثل عنصراً جوهرياً خطيراً في حياة الشعوب والمجتمعات لا تستطيع الاستغناء

---

[25]() العيسوي، الجريمة والإدمان، ص224.

[26]() العيسوي، الجريمة والإدمان، ص238. حماد، محمد فتحي: الإدمان والمخدرات الأسباب الآثار الوقاية والعلاج، ط1، ص127، دار فجر_كفر الدوار،(2004م). بتصرف.

عنه، بل إن الإعلام بات يمثل مصدراً أساسياً من مصادر الثقة وتغيير السلوك في المجتمعات الحديثة"[27].

لذا كان لزاماً على أولياء الأمر أن يقفوا وقفة جادة أمام هذه القضية، ويبذلوا جهودهم في إنشاء قنوات إعلامية هادفة، ومراقبة ما تبثه وسائل الإعلام وتمحيصه وغربلته، وللإعلام دور بارز في مكافحة المخدرات من حيث التعريف بأضرارها ومخاطرها، وعرض النشاطات التعليمية والدينية والندوات والمحاضرات التي تعمل على توعية الناس، أو عن طريق وسيلة الردع بالإخبار عن العقوبات التي فرضت على عصابات المخدرات سواء كانوا تجاراً أو مدمنين[28].

كما يستفاد من وسائل الإعلام في الطرق الوقائية للحد من انتشار المخدرات والتحذير من تعاطيها وذلك من خلال استضافة أصحاب الاختصاص والخبراء من علماء الدين والأطباء ورجال الاقتصاد لبيان أضرارها وآثارها السلبية على قيم وأخلاق وصحة واقتصاد المجتمع بأسره[29].

وعلى وسائل الإعلام أن تحذر من بث مشاهد درامية تعطي مفهوماً خاطئاً عن تجار ومدمني المخدرات، فتاجر المخدرات في الأفلام يبقى طيلة مدة عرض الفيلم يعيش حياة النعيم والترف وفي اللحظة الأخيرة من العرض يلقى العقاب، وتعرض البطل في دور المتعاطي مما يساعد ذلك على تقبل هذه الأمور[30].

على وسائل الإعلام أن تظهر الآثار السلبية والجرائم التي تترتب على تجارة المخدرات وتعاطيها، فتظهرهم بصورة منبوذة، ودورهم السلبي في الانحطاط بالمجتمع والسير به نحو الهاوية وإهدار طاقاته وخيراته وجعله هشاً ضعيفاً أنهكته الأمراض الجسدية والأخلاقية متفككاً اجتماعياً.

ومن المسؤوليات الواقعة على عاتق الإعلام تطوير شخصية الإنسان ونقله من شخصية سلبية إلى شخصية إيجابية تعمل على بناء المجتمع والرقي به وهو ما أكد عليه محمد رمضان: "ومن أهم وظائف الإعلاميين في الوقاية الجنائية هي العمل أولاً على تطوير شخصية الإنسان في مجتمعنا من الجمود إلى الحركة ومن التقليدية إلى التقدمية ومن التواكل إلى الإقدام...فإذا كانت عمليات تطوير الشخصية

---

[27]() الشباب الجامعي وآفة المخدرات، ص363.

[28]() انظر: الشباب الجامعي وآفة المخدرات، ص366.

[29]() انظر: الشباب الجامعي وآفة المخدرات، ص367. جمعه، الوقاية من المخدرات، ص55

[30]() حماد، الإدمان والمخدرات، ص123. بتصرف.

الإنسانية من العمليات التي لا بد أن تبدأ من الطفولة فهي تتصل اتصالاً وثيقاً بالتربية والتعليم، وعلى الإعلام أن يأخذ بنصيب وافر في أداء هذه الرسالة وخاصة في البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الأحداث"[31].

وحتى تتكلل جهود الإعلاميين بنجاح في الوقاية من المخدرات، لا بد من تكاتف الجهود والتعاون بين الخبراء في كافة المجالات ليقدموا برامج هادفة حول التوعية والوقاية من هذه الآفة الخطيرة، وبنفس الوقت يقدموا برامج ذات مصداقية عالية ومضادة لتلك البرامج والمسلسلات الهابطة التي من شأنها تزييف الحقائق وإظهارها الواقع بصورة معكوسة، وذلك باستضافة واستخدام أشخاص يتمتعون بشهرة إعلامية أو بسمعة اجتماعية طيبة[32].

المطلب الرابع: العقوبات الرادعة

لقد وضع الإسلام نظام عقوبات مناسباً لكل جريمة مرتكبة, فمنها الحدود ومنها القصاص ومنها التعزبر, يستخدمها الإسلام كوسيلة للعلاج والتقويم، والإسلام لم يعتمد في بناء الفرد والمجتمع على نظام العقوبة، إنما جعلها وسيلة إذا تعدى الإنسان الحدود التي وضعها الله لصيانة الفرد والمجتمع من الشرور والآثام وفي وقت أصبحت الموعظة الحسنة لا تحقق الغاية المرجوة، وبعض الأشخاص تحجرت قلوبهم وأعمت الغشاوة أبصارهم وبصيرتهم فكان لا بد من تشريع لنظام العقوبات الذي يقرع قلوبهم ويزجر بعقوبتهم كل من تسول له نفسه الاقتداء بأفعالهم وآثامهم، فينال المسيء بهذه العقوبات الجزاء العادل وفي نفس الوقت تكون إجراءات وقائية تحفظ للفرد وللمجتمع كيانه السليم المعافى، فالإسلام لا يسعى لحياة نظيفة من خلال العقوبة، وإنما أحاط المجتمع والفرد بسلسلة من الإجراءات الوقائية من خلال التربية الصحيحة وترسيخ خشية الله وتقوية الوازع الديني فمن سار على هذا النهج قد أفلح ومن أراد فساداً استخدم الإسلام سوط العقوبة في وقت ماعادت الموعظة تجدي نفعاً[33].

---

[31]() محمد، محمد رمضان: عالم المخدرات والمكافحة الدولية والإقليمية والمحلية، ط1، ص292_293، دار النهضة العربية_القاهرة،(2012م).

[32]() انظر: السعد، الوقاية من المخدرات، ص111.

[33]() انظر: طويلة، فقه الأشربة، ص508.

وهل انتشار المخدرات والمسكرات وسائر الممنوعات ومساهمة ذلك كله في انتشار الرذيلة بين الناس والاعتداء على الحقوق وانتهاك الحرمات، أليس هذا كله إلا نتيجة طبيعية لتعطيل الحدود والحد من إيقاع العقوبات والتساهل مع المسيء وعدم الضرب بيد من قوة لكل من سولت له نفسه ارتكاب محظور، وعليه فإنّ على الجهات المختصة أن تعيد النظر في القوانين لتضع قوانين حازمة صارمة، توقع أشد العقوبات على أصحاب المخدرات سواء كانوا تجاراً أم زراعاً أم متعاطين، وهو ما جعل أصحاب العقول أن يطالبوا: "إنّ تطبيق العقوبات تطبيقاً حازماً على كل مستحق لها، دون مراعاة لوضعه الاجتماعي أو الأسري، والمبادرة إلى ذلك، الإعلان عن ذلك في وسائل الإعلام المختلفة، يدفع كثيراً من أصحاب المخدرات إلى الامتناع عنها، خوفاً من تلك العقوبات، وما يترتب على تطبيقها عليهم من تشهير بهم، وتشويه لسمعتهم"[34].

[34]() المشاقبة، الشباب والمخدرات، ص193.